

إعادة بناء القوات المسلحة

كلف الرئيس جمال عبد الناصر الفريق أول محمد فوزى والذي كان يشغل منصب رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة بإعادة بناء الجيش. وتعيينه قائداً عاماً للقوات المسلحة على أن يبدأ فوراً فى تسليم الجيش بكافة أنواع الأسلحة والمعدات. والعمل على إزالة آثار العدوان، كذا تدريب الأفراد والقوات لاستعادة الأرض المسلوبة، واسترداد الكرامة لجيش مصر وشعبها.

وكان معروفاً عن الفريق أول محمد فوزى الصرامة الشديدة والانضباط العالى، وسمات العسكرية بكل مقوماتها مما ساعده ذلك على سرعة تنظيم الجيش، وإعادة تمركزه، مع سرعة إمداد القوات المسلحة بالأسلحة والمعدات والمركبات ووسائل الدفاع الجوى والقوات الجوية والطائرات بجميع أنواعها بواسطة الاتحاد السوفييتى. وبمشاركة بالتمويل والمساعدة من بعض البلاد العربية كالمملكة العربية السعودية، وبعض الدول الخليجية، وليبيا والجزائر. مع تنوع مصادر الأسلحة التكميلية وملحقاتها وقطع الغيار اللازمة لها من بعض الدول الآسيوية وبعض الدول الغربية والشرقية الأخرى.

وأوقفت الإجازات الميدانية، وتحدد للضباط وضباط الصف راحة لساعات محدودة كل ثلاثين يوماً لرؤية الأهل والأولاد. وتحدد للمجندين راحة لساعات محدودة كل اربعين يوماً، وأوقف تماماً خروج دفعات الرديف للمجندين.

إزالة آثار العدوان وحرب الاستنزاف

قامت القيادة العامة للقوات المسلحة بإعادة توزيع القوات واتخاذها مواقع دفاعية جديدة، وسرعة استكمال هذه الوحدات من المعدات والأسلحة والذخائر التي تم إمدادها بها، وإعادة الانضباط إليها وتدريبها تدريباً شاقاً مع استمرار هذه الوحدات في اتخاذ المواقع الدفاعية وتجهيزها والتدريب على الأعمال القتالية والدفاعية طبق لمهام العمليات الموضوعية لمنع العدو الإسرائيلي من القيام بأى عمليات تعرضية غرب القناة، وحيث كان العدو الإسرائيلي يقوم بقصف مدن القناة الرئيسية من بورسعيد شمالاً إلى الإسماعيلية وحتى السويس جنوباً بمدفيعياته التي كانت تطول مداها هذه المدن أو بطائراته القاذفة والمقاتلة كذا مناطق رمانة وبالوطة والقنطرة والكاب ومنطقة التينة ورأس العش.

الأمر الذى أدى إلى تهجير كل سكان مدن القناة وقراها، وقد عانى هؤلاء أشد المعاناة تاركين أعمالهم وأراضيهم ومساكنهم ومدارسهم إلى مدن أخرى، وقد تحملوا الكثير وتحملت الدولة مسئوليتهم مسئولية كاملة وبرغم ذلك استمر العدو الإسرائيلي فى قصف هذه المدن وتدمير كثير من المنشآت والمباني والعقارات، ولم تسلم حتى المستشفيات والمدارس جراء هذا القصف. وسقط المئات من الشهداء المدنيين وآلاف الجرحى إزاء هذا القصف، وتحولت مدن القناة إلى مدن أشباح لدرجة أننى حينما كنت أسير

بمفردى فى أحد شوارع الإسماعيلية الرئيسية وحيداً ولا أسمع سوى صوت أقدامى ، كانت دموعى لا تفارقنى وهى تسيل على خدى .
فى هذه الأثناء كانت القيادة العسكرية تعمل على رفع معنويات الأفراد جميعاً من الضباط والجنود ، وبدأت القيادة العسكرية فى التخطيط لحرب الاستنزاف بالدفاع النشط ، وبدأت حرب الاستنزاف التى قسمت إلى مراحل .



حرب الاستنزاف

وقد قسمت إلى ثلاث مراحل رئيسية:

المرحلة الأولى: مرحلة الصمود:

وهي المرحلة التي بدأت من تاريخ النكسة وحتى شهر سبتمبر ١٩٦٨ م. وكان أهم ما في أحداثها هي الهجمة الجوية المصرية يوم ١٤ يوليو ١٩٦٧ م والتي فوجئ العدو الإسرائيلي بها، ولسرعة إعداد القوات الجوية المصرية ورفع كفاءة طائراتها ومطاراتها وطياريتها وقيامهم بهذه الهجمة الجوية على مواقعهم.

ثم أعقب ذلك إغراق المدمرة الإسرائيلية إيلات في أكتوبر ١٩٦٧ م والذي تلاه بالهلع والصدمة لدى الجانب الإسرائيلي، مما أدى إلى قيام الجانب الإسرائيلي بالانتقام بقصف معامل تكرير البترول في الزيتية بالسويس انتقاماً من تدمير أكبر مدمرة في السلاح البحري الإسرائيلي.

المرحلة الثانية: مرحلة الردع:

وهذه المرحلة بدأت في شهر سبتمبر ١٩٦٨ م وذلك بغرض إجهاض العدو واستنزاف موارده وردعه بالقصف المركز بالمدفعية على دفاعاته واحتياطياته القريبة وتدمير دشمة ومراكز قيادة العدو المتقدمة وأسلحته ومعداته.

المرحلة الثالثة: مرحلة الاستنزاف:

وقد بدأت هذه المرحلة في شهر سبتمبر ١٩٦٩ م والتي استمرت حتى يوم ١٩٧٠/٩/٧ م حيث تم الاتفاق على وقف إطلاق النار بناء على مبادرة

وليم روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك الوقت . وكان من أبرز أحداث هذه المرحلة عمليات عبور قناة السويس بوحدات خاصة ، والإغارة على نقط العدو القوية وتنظيم الكمائن . ووصلت هذه الأعمال وتطورت حتى وصل حجم العناصر المشاركة في هذه العمليات من قوة جماعة حتى وصلت إلى كتيبة مشاة مدعمة . ومن أبرز الأعمال في هذه المرحلة عمليات الإغارة المصرية على ميناء إيلات الإسرائيلي وإغراق السفن الحربية فيه .

□□□

بعض الأعمال القتالية خلال حرب الاستنزاف

وكما جاء فى سير العمليات القتالية والمسجلة فى هيئة عمليات القوات المسلحة وفى التقريرين اللذين تم تجميعهما بواسطة الكاتب محمد البهنساوى، والكاتب عمرو جلال الصحفيين بجريدة الأخبار عن حرب الاستنزاف، حيث أطلق عليها حرب الألف يوم.

هكذا سميت حرب الاستنزاف، تلك الحرب التى أعادت الثقة للجانب المصرى، وكانت أفضل إعداد وتجهيز لنصر أكتوبر العظيم. والاستنزاف هو المصطلح الذى أطلقه الرئيس جمال عبدالناصر على المعارك التى اندلعت بين مصر وإسرائيل على ضفتى قناة السويس، فقد شهدت معارك جوية وبرية وبحرية، وأثبتت للعالم أن نكسة ١٩٦٧م حدث عارض وأن الجيش المصرى قادر على الانتفاض والتأثر.

بدأت شرارة الاستنزاف يوم ١ يوليو ١٩٦٧م أى بعد أقل من شهر على النكسة، عندما تقدمت المدرعات الإسرائيلية صوب مدينة بور فؤاد لاحتلالها يوم ١ يوليو ١٩٦٧م فتصدت لها قوة من الصاعقة المصرية بنجاح فيما عرف بمعركة رأس العرش، بعد ذلك وعلى مدار ثلاث سنوات، تواصلت المعارك، وحاولت إسرائيل خلالها، ومن خلال الضربات الجوية استهداف المدنيين المصريين لإخضاع القيادة السياسية المصرية، مستخدمين فى ذلك مقاتلات الفانتوم الأمريكية الحديثة، وفى ٧ أغسطس ١٩٧٠م انتهت المواجهات بقرار الرئيس عبدالناصر

قبول مبادرة روجرز لوقف إطلاق النار. ومع استمرار أوضاع القوات من الجانبين على ضفتي القناة بدأت مرحلة اللاسلم واللاحرب.
العمليات القتالية أثناء الردع والاستنزاف:

وكان شهر مارس ١٩٦٩م أهم مراحل التصعيد العسكري والسياسي في الصراع العربي الإسرائيلي. بدأت صباح ٨ مارس ١٩٦٩م وامتدت إلى ١٩ يوليو من العام نفسه، وتميزت بسيطرة مطلقة للقوات المصرية على خط الجبهة. وعلا فيها دور المدفعية التي صبت نيرانها على حصون خط بارليف والأهداف الأخرى من خلال ٤٠ ألف قذيفة. وبدأت يوم ٨ مارس بأكبر حشد نيرانى مؤثر منذ توقفت نيران حرب يونيو. واستمر هذا القذف ساعات متواصلة، اشتركت فيه ٣٤ كتيبة مدفعية، يعاونها حشد من أسلحة الضرب المباشر كالمدافع المضادة للدبابات، والدبابات الثقيلة عيار ١٢٢مم، لتدمير مزاغل نيران دشم خط بارليف، وإسكات ٢٠ بطارية مدفعية، وحرائق شديدة فى ست مناطق إدارية، وغير ذلك من الخسائر.

وظهر يوم ٩ مارس ١٩٦٩م امتدت يد العدو الغادرة من خلال هجوم مباغت استشهد خلاله الفريق عبد المنعم رياض رئيس أركان حرب قواتنا المسلحة خلال تواجده بخط المواجهة فى قطاع الجيش الثانى الميدانى، فى منطقة النقطة الرقم (٦) بالإسماعيلية.

وفى ١٣ مارس ١٩٦٩م بدأت إغارات قواتنا لتدمير موقع للجيش الإسرائيلى جنوب البحيرات برجال الكتيبة (٣٣) صاعقة.. ونجحت فى مهمتها فى نفس الوقت الذى كانت تحاول فيه القوات الإسرائيلية

إنزال قوارب، والإغارة على منطقة قريبة في منطقة جنوب البحيرات أيضاً. وفشلت محاولاتها فقامت بقصف قطار السكة الحديد الإسماعيلية والسويس.

وفى يوم ١٧ إبريل ١٩٦٩م نفذت قوات الجيش الثانى الخطة هدير. بتوجيه مدافع الدبابات الثقيلة إلى فتحات المراقبة والتسديد لدشم خط بارليف لتخترقها، وتفجرت الدشم من الداخل وقتل الأفراد المتحصنين بها. وتوعد وزير الدفاع الإسرائيلى الجنرال موسى ديان القوات المصرية، وكان الرد الإسرائيلى متوقعاً، حيث أغار يوم ٢٩ إبريل ١٩٦٩م على محطة محولات نجع حمادى للمرة الثانية، وأسقط عبوات ناسفة زمنية قرب أدفو أصابت بعض المدنيين الأبرياء، وكان الرد المصرى مباشراً وسريعاً وفى الليلة التالية مباشرة، بالإغارة على نقطة جنوب البلاح للمرة الثانية ونسفها بالكامل.

وتم تبادل الغارات بين الجانبين، وجاءت الإغارة على نقطة لسان التمساح شرق مدينة الإسماعيلية، وهى النقطة التى استشهد فيها الفريق عبد المنعم رياض، وفى محاولة للتأرقامت القوات الخاصة المصرية بقيادة الشهيد المقدم إبراهيم الرفاعى بقتل حوالى ٣٠ جندياً إسرائيلياً، ودمرت دبابتين، ونسفت ٤ دشم، وخسرت هذه القوات ٩ شهداء، أما الإغارة الأخرى التى أصابت القيادة الإسرائيلية فى مقتل، فكانت هى الإغارة على نقطة لسان بور توفيق ليلة ١١ يوليو وقتل وجرح ٤٠ فرداً، وتدمير خمس دبابات وأربع دشم، وأسير واحد، دون أن تتكبد القوات المصرية أى خسائر.

وأمام بسالة قواتنا وضرباتهم الموجهة. يقول زئيف شيف المحلل الإسرائيلي في كتابه عن حرب الاستنزاف، أن عملية لسان بور توفيق هي التي أنهت الجدل داخل أروقة القيادة الإسرائيلية حول حتمية تدخل الطيران في المعركة، ويستطرد: لقد كان هذا النجاح هو أبرز ما حققه المصريون، ومن الواضح أنه كان سيحفزهم إلى نشاط أكبر. لا مناص عن إيقافهم عنه بسرعة.

وأمام الضغط المصرى أقدمت القيادة الإسرائيلية على استخدام سلاح الطيران، الذى كانت كل الآراء تصر على الاحتفاظ به للمستقبل، وقد مهدت القوات الإسرائيلية لدفع الطيران بمحاولة التخلص من بعض الرادارات المصرية ونقط المراقبة الجوية؛ لذلك كان القصف الجوى ضد وحدة الرادار المصرية فى الأردن يوم ٢٢ إبريل ١٩٦٩م وكذلك إغارة الجزيرة الخضراء، وإغارة الأدبية، ضد نقطة مراقبة جوية منعزلة.

واعتباراً من ٢٠ يوليو ١٩٦٩م بدأت المرحلة الثانية من حرب الاستنزاف بإدخال إسرائيل لعامل رئيسى جديد فى هذه الحرب، اتسعت من خلاله مجالات المواجهة ليشمل مسارح العمليات بالكامل، بعد أن كانت مقتصرة على المسرح البرى خلال الفترة السابقة. وقد افتتحت إسرائيل هذه المرحلة بتنفيذ العملية بوكسر، والتي تتلخص فى تنفيذ (٥٠٠) طلعة طائرة تقصف (٢٥٠٠) قنبلة بإجمالى (٥٠٠) طن على أهداف مختلفة خلال ١٠ أيام، وهى مواقع الدفاع الجوى والرادارات، ومواقع المدفعية، والقوات فى الجبهة، ويفخر رئيس الأركان الإسرائيلى الجنرال حاييم بارليف، بأنه خلال الفترة

من ٢٠ يوليو وحتى ٧ سبتمبر ١٩٦٩م نفذت الطائرات الإسرائيلية (١٠٠٠) غارة لإجبار مصر على نشر قواتها وتخفيف الحشد في جبهة القناة. وفي يوم ٩ سبتمبر ١٩٦٩م قامت إسرائيل بإنزال سرية دبابات (٥٥) من مخلفات حرب يونيو في منطقة أبو الدرج على ساحل البحر الأحمر، اتجهت جنوباً إلى الزعفرانة مدمرة كل الأهداف والسيارات المدنية، وكان رد فعل الإغارة عميقاً في القيادة العامة؛ لتحديد مسئولية عدم اكتشاف قوة الإغارة أثناء وجودها على الشاطئ الشرقي للخليج قبل تنفيذ العملية، وقد استغلت إسرائيل هذه الإغارة إعلامياً بطريقة مثيرة، بعد أن سجلت لها فيلماً عرضته على الشعب الإسرائيلي، واستمرت العمليات المتبادلة بين الجانبين، واستمرت ضربات قواتنا الموجهة برغم الفارق في الإمكانيات.

انتهى عام ١٩٦٩م والقوات المسلحة المصرية متماسكة تماماً، وقد تجاوزت الحاجز النفسي الذي سببته نتائج حرب يونيو، وتحطت حاجز الخوف، وقد نجحت مراحل الاستنزاف في تحقيق أهدافها، أما ذراع إسرائيل الطويلة فلم تتمكن من تحقيق أهداف القيادة السياسية الإسرائيلية، وعلى الرغم من أنها شنت في الفترة من ٢٠ يوليو وحتى نهاية عام ١٩٦٩م حوالي (٣٥٠٠) طلعة جوية، في مقابل (٢٩٠٠) طلعة جوية مصرية معظمها للحماية والتأمين، ودارت بين القوات الجوية المصرية والإسرائيلية (٢٢) معركة جوية اشتركت فيها (١٣٠) مقاتلة إسرائيلية في مقابل (١١٠) مقاتلة مصرية، فقد كانت خسائر المصريين (٢٦) طائرة، وخسائر العدو (١٤) طائرة؛ نظراً للفارق بين نوع الطائرات ومستوى تدريب الطيارين.

أما العمليات البرية الإيجابية الناجحة خلال عام ١٩٦٩م فكانت (٤٤) عملية ما بين إغارة وكمين، نفذ منها (٥) أعمال في عمق إسرائيل، وبينما نفذت إسرائيل (٢٨) عملاً إيجابياً، منها (١٦) عملاً في العمق المصرى، وكانت خسائر القوات المصرية استشهاد (١٦) ضابطاً، و(١٥٠) رتبا أخرى. أما الجرحى فكانوا (١٩) ضابطاً، و(٢٩٩) رتبا أخرى. فى مقابل (١٣٣) قتيلًا، و(٣٢٠) جريحًا فى صفوف القوات الإسرائيلية طبقاً لما صرح به موسى ديان.

تصعيد كبير:

كان واضحاً أمام القيادة الإسرائيلية أن مراحل الاستنزاف المضاد لم تتمكن من تحقيق أهدافها، فالقوات المصرية لم تتشتت فى الجبهة لمواجهة أعمال الاستنزاف الإسرائيلية فى عمق الصعيد والبحر الأحمر؛ لذلك كان لا بد من التفكيك فى دخول مرحلة جديدة للاستنزاف، يكون الهدف منها استخدام سلاح الجو الإسرائيلى لقصف العمق المصرى بكثافة أكبر؛ لزيادة الضغط على الشعب المصرى ودفعه إلى الثورة على قيادته لإيقافه حرب الاستنزاف، وإضعاف نظام الرئيس عبدالناصر أو الإطاحة به. وقد كان مهندس هذه العملية هو الجنرال عزرا وايزمان مدير العمليات برئاسة الأركان وقتها، ووضعت الخطة «بريها» فى رئاسة الأركان الإسرائيلية وعرضت على رئاسة الوزراء وتم التصديق عليها.

وقد بدأ تنفيذ الخطة «بريها» اعتباراً من فجر ٧ يناير ١٩٧٠م بطلعة جوية فوق سماء القاهرة، تخترق حاجز الصوت وتحدث فرقعة شديدة

لتعلن عن بدء مرحلة جديدة من تصعيد حرب الاستنزاف، وقد شدت هذه المرحلة انتباه المعسكرين الشرقي والغربي فى آن واحد، حيث تشترك المقاتلات الأمريكية الحديثة من طراز فانتوم التى حصلت عليها إسرائيل ودخلت للخدمة فعلا اعتباراً من شهر سبتمبر ١٩٦٩م. وكذلك لوجود تشابه بين نظام الدفاع الجوى المصرى الجارى إنشاؤه فى هذه المرحلة، ونظام الدفاع الجوى لحلف وارسو. وقد استمر القصف الجوى العنيف من الطائرات الحربية الإسرائيلية طوال الأربعة أشهر الأولى من عام ١٩٧٠م. حيث صرحت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل لصحيفة الفاينانشيال تايمز يوم ٦ يوليو ١٩٧٠م بأن طائراتها كانت تسقط ألف قنبلة على المصريين يوميا.

ومن أهم العمليات التى قام بها الإسرائيليون خلال شهر يناير ١٩٧٠م كان الهجوم الفاشل على جزيرة شدوان كرد على مهاجمة القوات المصرية لميناء إيلات الإسرائيلى فى شهر نوفمبر ١٩٦٩م.

تساقط الفانتوم:

وقد استمرت الأعمال القتالية المتبادلة حتى حدث تغير هائل ظهر الثلاثين من يونيو ١٩٧٠م ليحسم الصراع الدائر بين بناة مواقع الصواريخ المصرية وبين ذراع إسرائيل الطويلة، حيث احتلت بعض كتائب الصواريخ مواقعها من خلال تنظيم صندوقى لعناصر الدفاع الجوى، ابتكرته العقول المصرية فى قيادة الدفاع الجوى المصرى، وبدأ عقب ذلك تساقط الطائرات الإسرائيلية فيما عرف بأسبوع تساقط الفانتوم، ليصاب الطيران الإسرائيلى بأول نكسة فى تاريخه أثرت فى أسس

نظرية الأمن الإسرائيلي بالكامل ، وكان هذا اليوم بمثابة إعلان لخسارة إسرائيل لجهودها فى معارك حرب الاستنزاف ، التى ركزت خلالها على عدم إنشاء أى مواقع .

ومع استمرار الخسائر الإسرائيلية ، وتزايد الوجود السوفىيتى تقدمت الولايات المتحدة بمبادرة روجرز . التى تقدم بها فعلا وزير الخارجية الأمريكى .

وكانت المبادرة بهذه الصيغة المتوازنة تنبع من روح قرار مجلس الأمن رقم (٢٤٢) ، ووجد الرئيس جمال عبدالناصر أن قبولها أمر ممكن ؛ لإعطاء فرصة للقوات المسلحة لاستعادة كفاءتها القتالية بعد حرب متصلة استمرت قرابة الألف يوم ، ووجدت فيها إسرائيل فرصة للخروج من أزمتها وإيقاف نزيف الخسائر الذى تتعرض له .

● مبادرة روجرز:

كان الغرض الأساسى من الموافقة على مبادرة روجرز كما قلنا هى بمثابة هدنة لوقف إطلاق النار حتى تستطيع مصر من تدعيم مواقعها ودفاعاتها وإقامة التحصينات لقواتها ، وتجهيز وسائل الدفاع الجوى وشبكة الصواريخ الدفاعية ، مما جعلها تقيم أضخم حائط صواريخ دفاعية بوسائل الدفاع الجوى على مستوى العالم .

وفى نفس الوقت كان لوجود القوات الإسرائيلية فى سيناء أن قامت هى الأخرى بتكثيف دفاعاتها وتجهيزها بخط دفاعى وحتى لا يمكن للقوات المسلحة المصرية من عبور قناة السويس أو الاقتراب منها أو القيام بأى عمليات تعرضية ضد قواتها ، وكما أنشئ أقوى خط دفاعى شرق القناة ، وهو ما أطلق عليه خط بارليف .

خط بارليف

أنشئ هذا الخط والمسمى بخط بارليف نسبة إلى الجنرال حايم بارليف رئيس أركان الجيش الإسرائيلي في هذا الوقت. وكان هو ومجموعة رئاسته هما من وضعها وصمما ونفذها هذا الخط الدفاعي الذي يعتبر أقوى خط دفاعي أنشئ على مستوى العالم. بل في تاريخ الحروب أجمع، ويتميز هذا الخط أيضًا بما يعرف بالساتر الترابي، ولكن في الواقع لم يكن ساترًا ترابيًّا فقط.

● مِم يتكون خط بارليف:

قامت إسرائيل باستغلال ناتج الحفر والتطهير المتراكم على الضفة الشرقية للقناة مكونة ساترًا ترابيًّا واستمرت في تعليته حتى وصل إلى حوالي ٢٠ مترًا، وإزاحته غربًا حتى وصل إلى الحافة الشرقية للقناة وبزاوية ميل حادة حوالي ٤٥ درجة، وأنشأت بالساتر مصاطب للدبابات على أبعاد تصل من ١٠٠ إلى ٤٠٠ متر فيما بينها بحيث يمكن للدبابات الصعود إليها من طريق خلف الساتر ومن خلال مطالع ومنازل مستورة حتى تصل إلى ارتفاع يظهر منه البرج والمدفع فقط وبذلك تكون أجنابها غير معرضة.

وأقامت القوات الإسرائيلية عدة نقاط حصينة في باطن الساتر الترابي تركزت أساسًا على محاور الاقتراب الرئيسي لقواتنا عبر القناة، وقد بلغ إجمالي المواقع الحصينة ٢٢ موقعًا وتضمنت ٣٥ نقطة دفاعية حصينة بلغت مساحة كل منها حوالي ٤٠٠٠ متر مربعًا.

● مكونات النقط الحصينة:

تتكون كل نقطة حصينة من عدة طوابق ويتكون كل طابق من عدة دشمن من الأسمنت المسلح المقوى بقضبان السكك الحديدية المنزوعة من خط السكة الحديدية الذي كان ممتدًا من القنطرة شرق وحتى رفح، وكذا ألواح الصلب ويفصل بين كل طابق والآخر طبقة من القضبان والخرسانة المسلحة يعلوها شبك من الصلب، بداخلها كميات من الزلط والأحجار والدبش، ويبلغ سمك الطبقة مترين، كما تعلوها لفات كثيفة من سلك الكونسترانيا.

وتتكون كل نقطة حصينة من ٣-٦ ملاجئ للأفراد ومخازن ذخيرة ومرابض هاونات وصواريخ أرض أرض وخنادق مواصلات مكساة بألواح الصلب وشكاير وصناديق الذخيرة المملوءة بالرمل، وكان الملجأ عبارة عن ملجأ سريع له أكثر من مدخل يتفرع منه أكثر من خندق مغطى وكلها مكساة بالصاج المعرج المقوى بالزوايا الحديدية، ويتوفر فيها كل وسائل الراحة والتهوية والإضاءة والتدفئة والاتصال التليفوني، وقد وفرت هذه التحصينات والأعمال الهندسية المختلفة وقاية للنقط القوية ضد القنابل الثقيلة حتى ١٠٠٠ رطل، وكذا ضد جميع قنابل الطائرات والمدفعية الثقيلة.

وأحييت كل نقطة حصينة من جميع الجهات بسوريين من السلك الشائك وبينهما حقل ألغام مضاد للدبابات والأفراد وفي مواجهة النقطة يوجد مانع سلك كثيف غير منظم بحيث يصعب فتح ثغرة فيه أو اجتيازه أو مهاجمته.

وجهزت النقط الحصينة بخزانات وقود وسوائل (خزانات نابالم) تخرج منها مواسير إلى القناة يمكن إشعالها في حالة اقتحام قواتنا للقناة، والمعروف أن النابالم يشتعل في الماء ويطفو فوق الماء ويظل مشتعلا لقلّة كثافته مما يحيل سطح المياه في قناة السويس إلى شعلة من النيران، كل ما سبق يدخل في الخط الدفاعي المسمى خط بارليف.

بل أنشأت القوات الإسرائيلية بين هذا الخط الأول على القناة وخط المضائق الجبلية، خطين دفاعيين هما الخط الدفاعي الثاني والثالث، ويبعد الخط الثاني حوالى من ٣٠٠ إلى ٥٠٠ متر عن الخط الأول.

وهو مجهز أساسا لاحتلاله بالعناصر المدرعة المتمركز في الخلف. أما الخط الثالث فيمتد على مسافة من ٣-٥ كم من الخط الأول على بعض الاتجاهات والمحاوير المهمة، وعلى أجناب الطرق الرئيسية المؤدية إلى العمق، وتم تجهيز مناطق تجمع الوحدات المدرعة على أعماق مختلفة وكذلك الأسلحة المضادة للطائرات والمدفعية والصواريخ المضادة للدبابات، وكذا مرابض نيران المدفعية بعيدة المدى، والتي بلغ عددها ٢٤٠ موقعا مجهزا، وأنشأت القوات الإسرائيلية شبكة ضخمة من الطرق والمدقات الطولية والعرضية شرق القناة لتسهيل حركة القوات في أى اتجاه والمناورة بها حسب تطور القتال.

وأعلنت إسرائيل للعالم كله، أن هذه التحصينات هي أكبر تحصينات دفاعية على مستوى جميع الحروب، ولم ولن تحدث في التاريخ ما قبل وما بعد الحرب العالمية الأولى والثانية وعلى أكبر مانع مائي في العالم، ولن تستطيع أى قوة مسلحة أن تجتازه أو تخترقه وإلا تعرضت جيوشها للإبادة والتدمير.

وفاة جمال عبد الناصر

فى هذه الفترة العصبية قامت إسرائيل بعدة عمليات وهجمات فى العمق بواسطة قواتها الجوية كمحاولة ضرب القناطر الخيرية وقناطر نجع حمادى ، وتدمير مدرسة بحر البقر وسقوط عدد كبير من الأطفال الصغار جثث وأشلاء ، وقد كان لذلك تأثير كبير على عبدالناصر . وكانت القشة التى قسمت ظهر البعير هى الإغارة بطائرات الهليكوبتر ببعض الوحدات الخاصة من جيش الدفاع الإسرائيلى على رادار بمنطقة البحر الأحمر ومهاجمته بل وفكه وسرقته مستغلة سلسلة جبال البحر الأحمر فى إخفاء تحركاتها . الأمر الذى أصاب جمال عبد الناصر بأزمة قلبية حادة . كادت تودى بحياته وروحه .

كما ساعدت على عدم استقرار صحته العامة ، مما زاد من ارتفاع نسبة السكر فى الدم . وزيادة النقرس والروماتويد ، مما جعل أرجله لا تقوى على حمله ، ولكنه كان يقاوم برغم ما يتحملة من ألم ليظل دائماً شامخاً عظيماً قوياً فى نظر شعبه وجيشه وأمتة .

وقد تلى هذه الفترة حدوث مناوشات بين منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطينى من جهة . وعناصر الجيش الأردنى التابع للملك حسين ملك الأردن من جهة أخرى أدت إلى حرب بين الطرفين سقط فيها مئات بل آلاف من الجانبين ، ولم يستطع أحد إيقاف هذا القتال الذى لم يتوقف إلى أن قام جمال عبدالناصر بدعوة الملوك والرؤساء

العرب فى مؤتمر قمة عربى استثنائى بالقاهرة، وأرسل لاستدعاء الملك حسين وياسر عرفات وقد نجح جمال عبدالناصر فى تحقيق وتنفيذ اتفاق بين الجانبين لوقف نزيف الدم العربى إزاء هذه الأحداث.

وقام بتوديع جميع الملوك والرؤساء العرب بمطار القاهرة حتى آخر الملوك وهو وداع الأمير الصباح أمير دولة الكويت، وبعد أن ركب الأمير طائرته شعر عبدالناصر بإجهاد شديد مما جعله يطلب عربته تحضر له أمام مهبط الطائرة ليعود إلى منزله بمنشية البكرى، وذهب جمال عبدالناصر إلى منزله ليرتاح ولكنها كانت الراحة الأبدية والأخيرة.

فقد مات جمال عبد الناصر وصعدت روحه الطاهرة إلى بارئها مساء يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠م وخرج شعب مصر كله يبكى فقدان القائد والزعيم، بل فجع العالم كله بموت عبدالناصر، الذى كما قال أنور السادات وهو ينعيه للأمة أنه كان من أخلص الرجال، بل من أشجع الرجال، لقد فقدت مصر والعالم العربى بل العالم كله جمال عبدالناصر

□□□

تولى الرئيس أنور السادات حكم مصر

تولى أنور السادات حكم مصر عام ١٩٧٠م بعد وفاة جمال عبدالناصر، ولدة ثلاث سنوات منذ توليه الحكم كان أنور السادات يتخذ كل عام وعدًا للحرب عامًا بعد عام وما سماه بعام الحسم، ثم ما أسماه بعام الحرب وتقرير المصير والذي لم يتم فيه تقرير أى شىء، وما أسماه بعام استرداد الأرض والأخذ بالثأر ولم يتحقق أى شىء خلال هذه السنوات الثلاث، الأمر الذى أدى إلى قيام كثير من المظاهرات والاعتصامات فى مختلف الجامعات وبعض قطاعات الدولة، وتعرض الرئيس أنور السادات للكثير من النقد، بل كثرت النكات بالسخرية من هذه الوعود المزعومة.

ولكن فى الحقيقة لم يكن الشعب يعرف أنور السادات على حقيقته، وظنوا أنه كاذب ويضحك على شعبه، رغم أن ما كان يعلنه هو فى الواقع جزء مما كان يتمتع به من دهاء سياسى وخبرة سياسية، ولحين اتخاذ القرار الصحيح فى الوقت المناسب، وتحمل أنور السادات الكثير خلال هذه الفترة بصبر عظيم، واعتبرها امتداد لفترة كفاحه السابقة ونوجزها بالآتى:

كان أنور السادات خلال فترة كفاحه فى شبابه وهو ضابط صغير، وخلال الحرب العالمية الثانية، يتعامل سرًا مع الألمان على حساب الجيش البريطانى الذى كان يكرهه خلال احتلاله لمصر، مؤمنا بالمثل الذى يقول: عدو عدوك هو صديقك.

كذا كان لأنور السادات أيضا دور كبير في مقاومة رجال السرايا والملك من الفاسدين، وكذا اتهامه بالاشتراك في اغتيال أمين عثمان رجل السرايا المقرب للملك والإنجليز، ومحاكمته وفصله من الجيش. كما أنه كافح كفاحًا مريئًا بعد فصله من الجيش واشتغاله بأعمال متدنية من أجل لقمة العيش، ثم عودته مرة أخرى لصفوف الجيش والاتصال برفقاء السلاح من الضباط الأحرار، فقد كان أنور السادات له قصة كفاح اكتسب منها خبرة في التعامل بدهاء سياسى لتحقيق أهدافه. ومن هنا نوضح أن كاريزما أنور السادات وشخصيته تختلف تمامًا عن كاريزما جمال عبدالناصر، وقد كان ذلك سببًا مباشرًا في عدم قبول كثير من أبناء الشعب في البداية لشخصية أنور السادات، والتي اتضح فيما بعد أنه كان له رؤية مستقبلية - وبُعد نظر كبير- وتحليل صائب للأمور، واتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب، مما جنب مصر وشعبها الكثير من المصائب، فقد كان حاد الذكاء، ويتمتع بالدهاء السياسى، والذي كانت مصر تحتاجه في هذه المرحلة. على أى حال فقد تم الاتفاق، وما استقر عليه كل المسؤولين في الدولة، وجميع مؤسسات الدولة على ترشيح أنور السادات، والذي كان يشغل منصب نائب رئيس الجمهورية، للاستفتاء عليه رئيسًا للجمهورية خلفًا للرئيس الراحل جمال عبدالناصر، وكان من هؤلاء القائد العام للقوات المسلحة، ووزير الداخلية، ورئيس المخابرات العامة، والمخابرات الحربية، ورئيس مجلس الشعب، ومؤسسات الإعلام. وعلى رأسهم الأمين العام وسكرتير الاتحاد الاشتراكى العربى، ورجل روسيا القوى فى المنطقة على صبرى.

وقد عقدوا العزم على اختيار أنور السادات وتقديمه للاستفتاء عليه من الشعب المصرى خلفا لرئيس الجمهورية الراحل جمال عبدالناصر، وهم لا يعرفون حقيقته، ولقد كان فى حقبة هؤلاء اتفاق خفى فيما بينهم بأن أنور السادات سيحكم من خلالهم، وبأنهم سيكون لهم الكلمة الأولى والأخيرة فى القرارات المصيرية التى سوف تتخذ، واعتبروا أنور السادات رئيسًا هامشيًا شكليًا. وعليه أن يسير فى خطوات حكمه على نفس درب وطريق عبد الناصر، بل وكما يريدون هم.

ولكن كان أنور السادات مختلفا فى شخصيته وأفكاره ورؤياه عن عبد الناصر اختلافًا جوهريًا، وكان يمتاز بالدهاء السياسى الكبير كما قلنا؛ ولذلك فقد تماشى أنور السادات مع أفكار ورؤى هؤلاء الذين ظنوا أنهم ورثوا مصر ومن عليها مناورة لهم.

ولكنهم كانوا قد قيدوا بالفعل أنور السادات فيما كان يتخذه من قرارات مشكلين أمامه مراكز قوة لا يستطيع الوقوف وحده أمامهم بشخصه وبمفرده متحملًا مسئوليته الشرعية والدستورية فى حكم مصر كما أقره له الدستور.

وكان أنور السادات له رؤية استراتيجية مختلفة عن عبدالناصر، حيث كان لا يريد معاداة الغرب والولايات المتحدة الأمريكية، وكان يحاول التقرب إليهم وفى نفس الوقت يحافظ على علاقته بالاتحاد السوفىيى؛ ليشكل علاقة متوازنة مع القوتين العظميين واستقطابهما من أجل تحقيق أهدافه بخروج مصر من نكستها، والعمل على استرداد الأرض بشتى الطرق والوسائل، ولكنه ظل يعانى من مراكز القوة تلك،

ولدرجة أنهم بدأوا يتجسسون عليه ، ويتنصتون عليه بجميع وسائل التنصت . وتسجيل مكالماته ومحادثاته سواء التليفونية أو غيرها . وعندما تأكد أنور السادات من ذلك وحصله على الشرائط المسجل عليها بوسائل التنصت . فما كان عليه إلا أن قام بإقالة وزير الداخلية والإعلام . وقد رفض باقى جميع أفراد تلك العصابة والممثلين فى مراكز القوة هذا القرار . فأعلنوا جميعا استقلالهم فى وقت واحد من مناصبهم . وأذاعوا ذلك فى جميع وسائل الإعلام لإحداث فراغ دستورى لإسقاط مؤسسة الرئاسة ورئيس الجمهورية .

ولم يستسلم أنور السادات فقد استدعى الفريق الليثى ناصف قائد الحرس الجمهورى ، وكلفه بالقبض على كل مراكز القوة ووضعهم فى السجن الحربى . وتقديمهم إلى المحاكمات الفورية بتهمة الخيانة العظمى والتخطيط للانقلاب ضد الحكم الشرعى والدستورى للبلاد ، والاستحواذ على سلطات رئيس الجمهورية التى كفلها له الدستور والقانون . وكذلك انتهاك حرمة الأفراد بالتجسس والتنصت بدون إذن قضائى . مخالفين بذلك كل حقوق الإنسان التى كفلها له الدستور والقانون . فما بالك أن يتم ذلك مع رئيس الدولة ، وقد نجح الليثى ناصف بواسطة ضباط الحرس الجمهورى فى القبض على هؤلاء جميعاً فى وقت واحد . وتنفيذ ما أمره به أنور السادات لتنفيذ محاكمتهم .

وقد أعلن أنور السادات للشعب المصرى عن ثورة التصحيح تلك من أجل استقرار الوطن ، وقد أيده الشعب بأكمله تأييداً كاملاً . وبذلك تخلص أنور السادات من هؤلاء جميعاً فى ضربة واحدة ، وهذا إن دل على شىء فهو يدل على ما كان يتمتع به أنور السادات من سمات شخصية ودهاء سياسى .

استراتيجية أنور السادات لحكم مصر

بنى الرئيس أنور السادات رؤيته الاستراتيجية في حكم مصر ومن أجل استرداد الأرض على الأهداف الرئيسية الآتية:

الهدف الأول:

هو البدء بالتحول التدريجى من الحكم الشمولى إلى الديمقراطية بالتعددية الحزبية، وذلك بإنشاء ثلاثة منابر حزبية رئيسية للوسط واليمين واليسار. وإلغاء نظام حكم الحزب الواحد وهو الاتحاد الاشتراكى العربى. ثم الانفتاح الاقتصادى على العالم الخارجى شرقه وغربه للعمل على إنعاش ورفاهية الشعب المصرى الذى عانى كثيراً، مع الحفاظ على علاقة متوازنة مع العالم الخارجى، خاصة القوتين العظميين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى.

الهدف الثانى:

الإعلان أمام العالم بأن مصر تسعى جدياً للسلام الحقيقى القائم على العدل، وقد أعلن أنور السادات استعداد مصر والعرب لعقد اتفاقية سلام مع إسرائيل. تبدأ فيها إسرائيل بإظهار حسن نواياها بالبدء فى الانسحاب من الضفة الشرقية للقناة حتى خط المضائق، على أن تقوم مصر بتطهير مجرى قناة السويس وفتحه للملاحة البحرية أمام جميع السفن فى العالم.

وعلى أساس ذلك تبدأ إسرائيل فى الانسحاب من جميع الأراضى العربية المحتلة، وإقامة الدولة الفلسطينية وإنهاء حالة الحرب باتفاقية سلام شاملة مع جميع دول المواجهة، وبذلك يستطيع أنور السادات أن يحقق سلاماً شاملاً عادلاً مقابل استرداد الأرض سلمياً، وقد تم عقد مؤتمر قمة عربى بهذا الخصوص، ووافقت على هذا المبدأ الدول العربية بالإجماع.

وبذلك أيضاً فإن أنور السادات يستطيع أن يجذب المنطقة العربية ويلاصق حرب جديدة لا يعرف مداها إلا الله، وقد تأخذ معها الأخضر واليابس، وبالقطع يستطيع الشعب الفلسطينى تقرير مصيره. وفى مصر أيضاً سيعود المهجرون من مدن القناة إلى مدنهم وقراهم وإلى أعمالهم للعمل والإنتاج مع تعمير تلك المدن التى أضررت كثيراً جراء حرب يونيو ١٩٦٧م، والبدء فى خطة تنمية من أجل مصر، وقد أعلن أنور السادات صراحة أمام العالم استرداد الأرض مقابل السلام.

وقد بذل الرئيس محمد أنور السادات خلال فترة حكمه تلك مجهوداً جباراً أمام المحافل الدولية، والمؤتمرات الدولية، والجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن، شارحاً استراتيجيته من أجل السلام فى المنطقة على أساس القرار (٢٤٢) والقرار (٣٣٨) الصادر من مجلس الأمن، ولكسب مزيد من التأييد العالمى والدولى.

ولكن إسرائيل ناورت كعادتها وبصلفها وغرورها وزهوة النصر التى كانت تعيش فيها. فلم توافق على هذه المطالب؛ لأنها كانت تريد الأرض والسلام معاً، بحجة أن الأرض هى السبيل الوحيد من وجهة

نظرهم لتأمين دولة إسرائيل . وأن هذه الأرض التي تم احتلالها تمثل الحدود الدنيا لدولة إسرائيل الكبرى المزعومة .

الهدف الثالث:

كان الهدف الثالث والذي لم يكن له بديل آخر هو استمرار العمل في تقوية وتسليح الجيش المصرى بكافة أنواع الأسلحة والمعدات ، وكذا تدريب القوات المسلحة تدريباً عالياً وشاقاً ، ومحاولة الوصول بالقوات المسلحة إلى أعلى درجات الاستعداد وكذا الوصول إلى مرحلة شبه متوازية مع الجيش الإسرائيلي مع وضع الخطط للعمليات الهجومية لعبور قناة السويس عنوة ، واجتياح وتدمير خط بارليف المنيع ، وتدمير وسحق القوات الإسرائيلية شرق القناة ، وتأمين الضفة الشرقية للقناة لإعادة فتح قناة السويس للملاحة البحرية أمام العالم كله كخطوة أولى . يعقبها تحرير كامل لكل تراب هذا الوطن ، مهما كانت التضحيات والآلام . وقد وضعت القيادة العامة للقوات المسلحة وهيئة عملياتها بالفعل خططاً هجومية كاملة لتحرير سيناء .



المفاوضات مع الاتحاد السوفييتى بشأن التسليح

برغم استيعاب العالم كله مبادرة السلام التى عرضها الرئيس أنور السادات، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تستطع أن تؤثر على إسرائيل بموافقتها على هذه المبادرة، بل أعلنت أنها مسؤولة مسئولية كاملة عن أمن إسرائيل وسلامتها. وأخذت تمدها بكل وكافة الأسلحة الهجومية المتطورة تكنولوجياً، وذات القدرة والكفاءة العالية التى تفوق عن مثيلاتها فى قواتنا المسلحة فى مختلف الأفرع، سواء كانت الجوية أو البحرية أو البرية أو وسائل الدفاع الجوى، والتى لا وجه للمقارنة بينها وبين مثيلاتها من الأسلحة والمعدات التى كان يمدنا بها الاتحاد السوفييتى، حيث كان ما لدى إسرائيل من أسلحة يفوق ما لدى مصر بكثير من حيث العدد، والنوع، والكفاءة، والقدرة، والتطور التكنولوجى. ويبدو أنه كان هناك اتفاق ضمنى عالمى وسرى غير معلى بين الدولتين العظميين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى حتى لا تلتهب منطقة الشرق الأوسط بما يؤثر على مناطق نفوذ كلا الدولتين. فكان الاتحاد السوفييتى يقوم بإمداد مصر بالأسلحة الدفاعية فقط، وبعض الأسلحة الهجومية والتى لا تقوى على المواجهة مع الأسلحة التى تمد بها الولايات المتحدة الأمريكية إسرائيل. رغم موافقة الاتحاد السوفييتى على إرسال خبراء من الجيش السوفييتى للمشاركة فى تدريب القوات المصرية على مختلف هذه الأسلحة.

ولكن إحقاقاً للحق، قد قام الاتحاد السوفييتى بمد مصر بأعداد هائلة من صواريخ الدفاع الجوى الموجهة من طراز سام ٦، سام ٧، سام ٣. وسام ٢، والتي لها قدرات هائلة على إسقاط الطائرات المعادية بنسبة تفوق ٩٠٪، وكذا بالرادارات ووسائل الدفاع الجوى الأرضية الحديثة، وساعد الخبراء الروس الجيش المصرى فى بناء أكبر حائط صواريخ لحماية مصر وحدودها بالكامل، وكان يشكل أكبر حائط حماية بصواريخ الدفاع الجوى على مستوى العالم كله بل وفى تاريخ الحروب.

وقد استمرت المفاوضات مع الاتحاد السوفييتى، وبذل الرئيس محمد أنور السادات الكثير من الجهد فى محاولة جلب أسلحة هجومية لتستطيع مصر تحقيق مهامها بالعمليات الهجومية المخططة لتحرير أرضها، ولكن لم يجد أنور السادات استجابة لطلباته، وأرهبه الاتحاد السوفييتى بالمماطلة برغم وعوده والتي لم ينفذ منها شىء.

والذى كان مفاجأة كبيرة. وكان بمثابة صدمة كبيرة هو اتفاق الدولتين العظميين طبقاً لسياسة الوفاق التى قاموا بالاتفاق عليها هو إعلانهم على استمرار وقف إطلاق النار، وجعل منطقة الشرق الأوسط ومصر فى حالة استرخاء عسكرى منتهجين سياسة الوفاق بينهما، الأمر الذى أطار صواب وعقل الرئيس أنور السادات، فما كان لا بد منه إلا أن اتخذ قراراً بطرد الخبراء الروس وإصدار قرار الحرب.

لم يكن أمام الرئيس أنور السادات ﷺ خياراً آخر إلا أن يتخذ قرار الحرب، والذى كان قد اتخذه بالفعل، وتنفيذ خطط العمليات الموضوعة والتي تم التدريب عليها بكفاءة عالية بما لدينا من الإمكانيات المتاحة،

دون النظر لأى اعتبارات أخرى، السابق ذكرها، معتمدين على الله ثم على كفاءة جنودنا المقاتلين البواسل، والذين هم من خير أجناد الأرض. وقد كان من أهم هذه الخطط الخداع الاستراتيجى والعسكرى، والتي كانت العنصر الفعال لنجاح هذه الحرب، والتي أصبحت تدرس على مستوى جميع الأكاديميات العسكرية فى العالم، والتي سننوه عنها.

□□□